السلام بين اليهودية والتطبيقات العملية للكيان الإسرائيلي

PEACE BETWEEN JUDAISM AND THE PRACTICAL APPLICATIONS OF ISRAELI ENTITY

مصعب قاصب[1]، محمد يعيش [2]

[1] كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر -1- (الجزائر)، m.gaceb@univ-alger.dz

[2] كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر -1- (الجزائر)، m.yaiche@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2020/09/16 تاريخ القبول:2022/05/19 تاريخ النشر: جوان/2022

الملخص:

نعيش عصرا كثرت فيه الأبواق وتعدّدت فيه الأقلام وتنوّعت فيه الآراء لكنّها تجتمع كلها إذا تعلّق الأمر بالأمن والسّلام، نُطالب بهذا الأخير ونحن في عصر مجلس الأمن الدّولي وهيئة الأمم المتّحدة وميثاق حقوق الإنسان، إنّ الشّعوب ليست غبيّة حتّى تُطالب بما هو موجود، وما هذا إلاّ علامة على انتهاك الحقوق وخوف من مستقبل مجهول تحكمه الدّبابة والصاروخ بأسلحة تُفني العالم في رمشة عين، فأين هو السّلام المزعوم؟ إنّ الدّين هو روح السكينة والاطمئنان يربط الإنسان بغيره في أمن وسلام، فهل تُحقّق اليهودية هذا لأتباعها؟ وهل ما يفعله اليهود اليوم في فلسطين المحتلّة وفي دول نفوذهم هو عين السّلام المطلوب؟ وإلى أيّ مدى يكون دين يُصنّف الآخرين ويعتبرهم في صنف الحيوانات سببا في تحقيق فكرة السّلام العالمي؟ للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدت في هذه الدّراسة على المنهج التحليلي جامعا بين العقيدة والسياسة حتى تكون نظرة متكاملة وشاملة، فخلُصت الدّراسة إلى نتيجة مفادها أنّ اليهود رغم اختلاف مسمّياتهم وانتماءاتهم كلّهم يسعون لتحقيق حلم إسرائيل وفق ما جاء في نصوصهم المقدّسة مع قتل وإبادة كلّ من يعترض الطريق، والمكر بمن يُحاول الاقتراب منهم.

الكلمات المفتاحية: السلام اليهودي؛ السلام والعنف؛ السلام في النصوص اليهودية المقدّسة؛ الأخلاق اليهودية؛ اليهودية.

Abstract:

We live in an era when there is a diverse range of opinions and writings, but they all come together when it comes to the question of peace. People today suffer from rights violations in a world ruled by all kinds of violence. Religion is the spirit of tranquility and contentment that binds people to others in peace and security. Can Judaism achieve this for its followers? Does what the Jews do today in Palestine and in every country in which they have a similar effect to the required peace? And to what extent classifies other religions among animals as the reason for

المؤلف المرسل: مصعب قاصب، الإيميل المهني: m.gaceb@univ-alger.dz

achieving the idea of world peace? To answer this problem, I relied in this article on the analytical method, combining doctrine and politics, to form an integrated vision. The study concluded that the Jews, regardless of their names or affiliations, seek to realize the dream of Israel according to what is written in their sacred texts and to annihilate all who oppose it.

Key words: Peace in Judaism; Peace and Violence; Peace in the Jewish sacred texts; Jewish ethics; Judaism.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

إنّ عالم اليوم يختلف عن عالم ما قبل القرنين أو أكثر، عالمٌ تحكمه النزعة المادية، عالمٌ يتخبّط في أزمة قيم منغمسٍ في حروب وصراعات فكرية وإيديولوجية وحتى دينية وعرقية، أصبح التقدّم العلمي والتكنولوجي خطرا على الإنسان وبيئته وسببا في فقدان التوازن بين الأمم والشعوب، بل وأصبح يُستعمل كسلاّح فتّاك في أيدي من يمسكون بعِقاله حتى يُذِلّون ويكسرون به قوة الأمم وجبروتها، كل هذا من أجل تحقيق المصلحة الشخصية على حساب الآخرين وِفق ما تمليه النظرية الماركسية الإلحادية، وساعد على تمكين هذه النظرة النفعية تبنِّيها من قبل أكبر القوى العالمية المسيطرة على الساحة السياسية والاقتصادية، لكنّ السياسة –كعادتها– تُظهر وجهها المشرق وتُخفي وجهها المظلم، تَظهر بصورة كبش بريء وهي في حقيقتها ذئب يرعى وسط القطيع، دعت إلى الاتفاق على ميثاق وقانون يحمي الإنسان ويحفظ حقوقه وواجباته في كلّ مكان، والمتأمّل فيها يدرك الصلة الوثيقة والعلاقة الوطيدة بين ميثاق هذه الحقوق وما احتوته الأديان، وقد ظهرت عدّة نسخ منه في القرن العشرين وكانت آخر نسخة في بداية القرن الجاري حيث صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مُؤسّسا على قاعدة "الكرامة الإنسانية" ثم ركّز بعد ذلك على القيم الرئيسية التي تستلزمها الكرامة الإنسانية فذكر: الحرية، والعدل، والمساواة، والإخاء والسّلام، ثم ذكر باقي الحقوق والقيم. ويعتبر موضوع السّلام من أهم الإشكالات والتحدّيات التي لا تزال مطروحة إلى اليوم، وخاصة بعد الحروب المسلحة الكثيرة التي مرّت على هذا العالم وامتداد الحروب الصليبية على البلاد الإسلامية في القرون الأخيرة بصورة تجعل الدول الضعيفة مستعمرات وولايات منتدبة لدى الدول العظمى، وهي في حقيقتها دمار لتلك الدول ونهب لخيراتها وثرواتها، كل هذا ولّد في القلوب حقدا متراكما بين الشعوب والأمم حتّى صار القوي –الذي كان بالأمس ضعيفا– يسعى للانتقام والثأر، فاندلعت حربين عالميتين هزّت العالم بأسره، تعقّبتها حرب باردة سعت فيها كل الأطراف إلى المسارعة نحو التسّلح وإنفاق المبالغ الهائلة لتحقيق هذا الغرض، فظهرت الأسلحة النووية وبعدها البيولوجية والكيماوية التي يُمكنها تدمير الكون في لحظة واحدة، ولا يزال إلى اليوم تعامل الكثير من الدوّل فيما بينها بحكمة وتحفّظ، وأصبح الفرد لا يأمن على نفسه حتى ولو كان في أكثر الأماكن أمانًا، فأين محلّ السلام في هذا العالم من المعاهدات والمواثيق المبرمة؟ ولمّا كان الدّين هو الموجّه والمصحح لسلوكيات الإنسان وتصرفاته كان

لابد من تحقّق سلام ديني حتى يتحقق سلام سياسي اجتماعي. ولعلّ الناظر إلى الواقع بنظرة دينية يرى أن أكبر صراع ديني اليوم هو: صراع مسيحي إسلامي، ولا شكّ أنّها نظرة قاصرة، إذ أنّ الصراع محتدم بين الأديان جميعا أو بالأحرى بين أتباع الأديان الكبرى والصغرى معا، إلاّ أنّ المسيحية والإسلام هما أكبر الأديان وأكثرهما انتشارا، وقد لعبت اليهودية –رغم قلّة انتشارها– دورا فعالا في الصراع العالمي السياسي والديني وحتى العرقي، ولمّا نتكلّم عن اليهودية فنحن أمام فرق يهودية كثيرة ومتنوعة وأمام صهيونية تسيطر على أكبر قوة في العالم وعلى المراكز الحساسة، وأمام حركات سرية عالمية تعمل بخبث سياسي لتحقيق مصالح صهيونية على حساب باقي الأمم وِفق قاعدة "شعب الله المختار" اليهودية، وأمام حركات مسيحية تخدم مصالح يهودية كالمسيحية الصهيونية وغيرها من الحركات البروتستانتية. فهل العقيدة اليهودية بريئة من تصرّفات أتباعها أم أنها الموجّهة لهم؟ وإلى أي مدى ترتبط الحكومات السياسية اليهودية اليوم بعقيدتها؟ كيف يمكن الجمع بين عقيدة "شعب الله المختار" والدعوة إلى السلام العالمي؟ لأن الحديث عن السلام يتضمّن بالضرورة الحديث عن التّسامح والمحبة والأخوة مع الآخر. يسعى البحث إلى إظهار صحة وزيف الإعلانات البرّاقة الموسومة بالكلمات الرقيقة الداعية إلى سلام عالمي وأخوة إنسانية ومحبة لكل البشر رغم اختلاف الأعراق والأجناس والألوان، للإجابة على هذه الإشكالية اتّبعت المنهج التحليلي مبيّنا مداخل الموضوع ومخارجه، فدرست موضوع السلام في النصوص المقدسة اليهودية ابتداءً بالعهد القديم ثم التلمود مع تفسير ما يجب تفسيره حتى يكون النص مفهوما، وانتقلت بعدها لدراسة موضوع السلام من الناحية السياسية في بروتوكولات حكماء صهيون والتطبيقات الواقعية لليهود قديما وحديثا حتى توصّلت في الأخير إلى إجابات على الإشكالية المطروحة سابقا. لم أجد في حدود اطّلاعي دراسة مطابقة لموضوع المقال ولكن توجد دراسات عامة تبحث موضوعَ السلام والعنف في الأديان عامة أو بمقارنتها مع الفلسفة، وأقرب ما وجدت في الموضوع دراسة أكاديمية لـ " Robert Eisen" بعنوان " The Peace and Violence of Judaism : From the Bible to Modern Zionism" مطبوع في جامعة أوكسفورد الأمريكية سنة 2011. لكنه تناول الموضوع بصفة عامة في اليهودية ولم يركز على ما حاولتُ التركيز عليه في مقالي هذا.

1–السلام في النصوص الدينية اليهودية:

السَّلامُ (Peace) والسِّلم والسّلامة مرادفاتٌ كثيرة الاستعمال ترِد في اللغة العربية على معان مختلفة حسب موضعها من الكلام، فتطلق ويُراد بها: البراءة من الشيء، العافية، ترك التعدي، الأمن على النفس من العيب والنقص وجميع الآفات[1]، ويختلف معناها الاصطلاحي باختلاف مجال استعمالها وهي على العموم ضدّ العنف المتمثّل في الاستخدام المتعمّد للقوّة الجسدية أو السلطة عموما ضدّ شخص أو مجموعة. ممّا يؤدّي إلى حدوث إصابة أو وفاة أو أذى نفسي[2]، وترى دائرة المعارف البريطانية أنّ

العنف من أعمال القوة الجسدية ويقصد به إلحاق الضرر، قد يكون الضرر الناتج عنه جسديا أو نفسيا أو كليهما[3]، لهذا فإنّ السّلام ببساطة لا يعني غياب الحرب أو غياب الأعمال التي تُسبّب الأذى الجسدي. بل يجب أن يشمل السلام غياب العنف بكل أنواعه، حتى العنف النفسي[4]، ولذا سنركّز فيما يأتي على أشدّ أنواع العنف انتشارا كالحرب والقتل، ونحاول إظهار وجهة النظر اليهودية فيها.

1.1- السلام في أسفار التوراة:

"البنتاتوك" أو ما يسمى بـ"التوراة" كتاب اليهود المقدّس ومصدر الشريعة الموسوية، المصدر الذي تتفق عليه كل الفرق اليهودية مع بعض الاختلافات في الألفاظ والعبارات، بلغ هذا الاختلاف مداه بين السامرية والفرق الأخرى، لكن تبقى التوراة عند جميعهم كتاب موسى المقدّس الذي يستمد منه اليهود روحهم الدينية كونَه أوّلَ الكتب المقدسة كتابة وظهورا، اشتمل عقائد اليهودية وتشريعاتها وأهم أحداثها التاريخية في العصور الأولى، ولم يُغفِل حتى جانب الأخلاق.

إن الحديث عن السلام في التوراة مرتبط ارتباطا وثيقا بالأخلاق التوراتية، هذه الأخلاق التي نجدها مبثوثة هنا وهناك في ثنايا الأسفار الخمسة مجتمعة في مواضع مشهورة في التوراة بأسماء خاصة، أكثر هذه المواضع شهرة: الوصايا العشر (خر20: 1-17) و(تث5: 6-21) ، كتاب العهد (خر(20: 22)- (23: 33))، قوانين القداسة (لا16 – 27) والقانون التثنوي: (تث12 – 26)، وأفضل وصية في العهد القديم إطلاقا وفي التوراة خصوصا -حسب ويل ديورانت- موجودة ضمن قوانين القداسة تائهة بين مجموعة من القوانين المختلفة والمتكررة، وهي: "أحبَّ قريبكَ مِثلما تُحِبُّ نفسَكَ" (لا19: 18) [5]، هذه الوصية هي أساس مبدأ السلام لأنها تدعو إلى حب الخير للآخرين، فترفع الإنسان من دائرة الأنا وحبّ النفس وتسمو به إلى فضيلة حب الخير للغير.

نجد في بعض أسفار العهد القديم ذكرا لكلمة "سلام" كسفري "المزامير" و"الأمثال"، لكن نادرا ما نجد هذه اللفظة في الأسفار الخمسة، وهذا لا يعني خلوّها من السلام وإنّما دعت إليه بالحثِّ على أخلاق أخرى كثيرة تُحقّقه، لأنّ السّلام في حقيقة الأمر جزء من منظومة قيم لا يتحقّق إلاّ بتجسّد باقي جزئياتها، فالوصايا العشر مثلا نهت عن القتل في وصية من أعظم الوصايا لأنّ الله خلق الإنسان على صورته، هذا الخُلُق من أكثر الأسباب المحقّقة للسّلام، إذ ينُصُّ على تقديس حياة الإنسان ويُحرِّم القتل العمدي مع سبق الإصرار والترصّد، جاء في(تك9: 6): "مَن سَفَكَ دَمَ الإنسانِ يَسفِكُ الإنسانُ دَمَهُ. فعلى صُورةِ اللهِ صَنَعَ اللهُ الإنسانَ". وتشدّدت التوراة في الحكم على القاتل عمدا فرتّبت عليه عقوبة الموت قصاصا "من قَتَل إنسانًا، يُقتَل قَتلاً، ومَن قتَلَ بَهيمةً، يُعوِّض مِثلَها رأسًا بَدلَ رأسٍ. مَنْ أضرَّ بِآخَرَ، يُفعَل بهِ كما فَعلَ: الكَسْرُ بالكَسْرِ والعَينُ بالعَينِ، والسِّنُّ بالسِّنِّ" (لا24: 17-20). وصوّر سفر العدد بعض أشكال القتل العمدي قائلا: "إِنْ ضَرَبَ أحدٌ أحدًا بِآلةِ حَدِيدٍ فَمَاتَ فَهُوَ قَاتِلٌ. والْقَاتِلُ يُقْتَل. وَإِنْ رَماهُ بِحَجَرٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ

فَمَاتَ فَهُوَ قَاتِلٌ. والْقَاتِلُ يُقْتَلُ. وإِنْ رَماهُ بِآلةٍ مِنْ خَشَبٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ فماتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. والْقَاتِلُ يُقْتَلُ. ووَلِيُّ القاتلِ هوَ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ حِينَ يُصَادِفُهُ. وَإِنْ دَفَعَ أحدُ أحدًا عَن بُغْضٍ، أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ شَيْئًا مُتَعَمِّدًا فَمَاتَ، أَوْ ضَرَبَهُ بِيَدِهِ عَنْ عَدَاوَةٍ فَمَاتَ، فالقاتِلُ يُقْتَلُ، ووَلِيُّ القَتيلِ هوَ يَقْتُلُهُ حِينَ يُصَادِفُهُ."(عد35: 16–21).

ولمّا كان القتل في التوراة مُدنِّسًا للأرض، كان زوال هذا الدّنس بسفك دم القاتل فقط، وعدم قبول الفدية مطلقا، وبهذا تميزت التوراة عن غيرها، إلاّ أنها تشترط –كغيرها– شهودا على القتل، لأن شهادة الواحد غير معتبرة، وفي هذا الصدد يقول سفر العدد: "فَلتَكُنْ لَكُمْ هذِهِ الفَرائضُ أحكامًا مدَى أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ. كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا، فَبِشهادةِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الْقَاتِلُ، لا بِشهادةِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ. وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَة عَنْ نَفْسِ قَاتِلٍ يستَوجِبُ القتلَ، بَلْ يُقْتَلُ... لاَ تُدَنِّسُوا الأَرْضَ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، لأَنَّ الدَّمَ يُدَنِّسُ الأَرْضَ. وَلاَ يُكَفَّرُ عَنها الدَّمَ الَّذِي سُفِكَ علَيهَا إلاَّ بِدَمِ سَافِكِهِ." (عد35: 29–33)، هذا خاص بالقتل العمدي أما القتل الخطأ فله أحكام خاصة.

يقول ويل ديورانت –في معرض شرحه للوصايا العشر–: " الوصية السادسة مبدأ مثالي صعب المنال، وذلك أننا لا نرى في كتابٍ ما ما نراه في أسفار العهد القديم من حديث التقتيل والتدمير، ففصوله كلّها ما بين وصف لمذابح وتناسل لتعويض آثارها، لقد كان النزاع بين الأسباط، والانقسامات الحزبية، وعادة الأخذ بالثأر المتوارثة، كل هذه كانت لا تبقي على فترات السلم المتقطعة المُملَّة إلا قليلا، ولم يكن أنبياء إسرائيل من دعاة السلم رغم ما جاء في بعض أقوالهم من تمجيد للمحاريث ومناجل التشذيب، وكان الكهنة أنفسهم مولعين بالحروب وَلَعَهُمْ بالمواعظ... وكانت العادة المُتّبعة أن تُدمّر المدن التي يستولون عليها في حروبهم، وأن تُقطع بحدّ السيف رقاب جميع الذكور من سكانها" [6]، ومن هنا تبيّن أنّ حقيقة العهد القديم مخالفة لما جاء في الوصايا العشر مخالفة ظاهرة على الرغم من كون هذه الأخيرة صارمة جدا في مبدأ القتل حتى إنّها لا تقبل العفو ولا الفدية، الأمر الذي يجعلنا نبحث عن قيم أخرى تتقاطع مع قيمة السلام في النصوص التوراتية ونتعمّق فيها أكثر حتى نفهم طرحها للمسائل وتطبيقاتها على بني إسرائيل.

تناولت الوصية الثامنة من الوصايا العشر النهي عن السرقة، هذه الوصية التي تجعل الإنسان يشعر بالأمان على ممتلكاته بعدما أمن على نفسه من الهدر والقتل، وبالتالي تسود السكينة والطمأنينة قلبه، والمتأمّل في الوصايا العشر يدرك أنّ التوراة لم تتساهل مع السارق، بل أوصلت عقوبته إلى القتل إذا تعلّق الأمر بسرقة إنسان حر وبيعه كعبد، جاء في (تث24: 7): "مَنْ خطَفَ أحدًا مِنْ إخوتِهِ بَني إسرائيلَ فاستَعبَدَهُ أو باعَهُ ثُمَّ انكشَفَ أمرُهُ، فجَزاؤُهُ القَتْلُ"، كما أباحت التوراة دم السارق إذا قُبِض عليه ليلا يُنقِّبُ بيت غيره، جاء في (خر22: 1–2): "وإنْ وُجِدَ السَّارقُ وهوَ يسرِقُ فضُرِبَ وقُتِلَ، فدَمُهُ مَهدورٌ. فإنْ قُبِضَ علَيهِ بَعدَ شُروقِ الشَّمسِ فلا يُهدَرُ دَمُهُ، وإنَّما يُعَوِّضُ بَدَلَ المَسروقِ" [7].

يبقى الباحث والمنقّب في نصوص التوراة دائما في حيرة من تناقض محتوى الوصايا العشر مع تصرّفات بني إسرائيل، فبعد التناقض الوارد في الوصية السابقة يظهر نفس التناقض في هذه الوصية، ففي (خر3: 22) يطلب موسى من بني إسرائيل أخذ الذهب والفضة واللباس من المصريين قبل الخروج من مصر بأيام لتكون لهم غنيمة بعد الخروج، وهذا عَيْنُ السرقة، فكيف لموسى عليه السلام أن يأمر قومه بهذا وهو الذي حرّم عليهم السرقة في الوصايا التي تلقّاها عن الربّ في الجبل؟ إنّ الحاخامات ورجال الدين اليهود لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل بيّنوا أصل المسألة وقسّموا السرقة إلى قسمين: سرقة محرمة متعلقة بممتلكات اليهودي –وهي المقصودة في الوصايا العشر– وسرقة جائزة إذا تعلقت بممتلكات غير اليهودي.

إذن يحرم القتل وتحرم السرقة إذا تعلقا باليهودي دون غيره، وعليه فاليهودي يمكنه العيش بسلام مع أخيه اليهودي لأنّه يأمن كل شروره، لكنّ غير اليهودي لا يمكنه بحال من الأحوال العيش في أمن مع اليهودي.

هذه أهم وصيتين تحقّق السلام من الوصايا العشر، لكن قيم السلام كثيرة ومتنوّعة في التوراة، أهمّها ما جاء في "كتاب العهد [خر (20: 22) – (23: 33)]": حفظ الأمانات والنهي عن تضييعها (خر22: 6–12)، المحافظة على الأشياء المستعارة وردّها إلى أهلها (خر22: 13–14 و25–26)، حفظ اللسان (22: 27)، التأكد عند نقل الأخبار (23: 1).

كما كان لـ "قوانين القداسة (لا16 – 27)" دور في الدعوة إلى امتثال قيم السّلام، فزيادة على ما سبق دعت إلى: تحريم الكذب وشهادة الزور (19: 11) و(19: 16)، تحريم الحقد وبغض الآخرين (19: 17–18)، تحريم الغدر (19: 11)، محبة الخير للغير (19: 18)، تمتع العمال بحقوقهم (19: 13).

فيما كان لـ "القانون التثنوي: (تث 12 – 26)" أيضا دعوة إلى قيم السلام، فدعا إلى: العدل في الحكم وتحريم الظلم (16: 18–20) و(25: 1 و16)، النهي عن إتلاف الأشجار المثمرة أثناء الحرب (20: 19)، مساعدة الآخرين (22: 1–4)، الدعوة إلى إيفاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه وعدم تأخير الأجر أو سرقة حقوق العمال (24: 14–15)، الإحسان إلى الغريب واليتيم والأرملة (24: 19–21) و(26: 12).

وعليه يمكننا القول: إنّ قيم السّلام التوراتية قيم متكاملة نظريا لكنها مختلفة تماما تطبيقيا، كون كل تلك القيم تخضع للتقسيم في تطبيقها ولا تؤخذ على ظاهرها، وجوهر هذا التفريق يَكمُنُ في اختلاف المُتَعامَلِ معه بين يهودي وغيره، ما يجعلنا نتعمّق أكثر ونبحث في مصدر الشريعة اليهودية الثاني والمعروف بـ "التلمود" حتى نصل إلى تصَوُّرٍ أكثرَ واقعية.

2.1– في التلمود:

يعتبر التلمود الكتاب اليهودي الثاني من حيث التقديس إلاّ أنّه يحتل المرتبة الأولى من حيث الأهميّة والتأثير، فهو ما يعرف بالشريعة الشفوية التي دّونت في وقت متأخر عن التوراة بقرون من

الزمن، يحتوي على تفاصيل الشريعة اليهودية المذكورة في التوراة وغيرها لضخامة حجمه وطول أسفاره، ويمكن إدراج أخلاق التلمود عموما وقيمة السّلام خصوصا ضمن اتّجاهين مختلفين أحدهما إنساني والآخر عنصري، وهذه أهم نصوص الاتجاهين:

أولا: الاتجاه الإنساني: جاء في التلمود ما يبيّن أنّ السبق للسلام من صفات الرجال الكُمَّل، قال أحد الحكماء: "كن السابق بالسلام لكل إنسان، وكن ذنباً للأُسُود، ولا تكن رأساً للثعالب" [8]، وقال آخر مُرغِّبا في السّلام وداعيا إلى حبّ الخلق: "كن من تلاميذ هارون محبا للسلام وساعيا وراء السلام محبّا للخلق، ومُرغِّباً إياهم في الشريعة" [9] . لمّا كان العدل أهمّ ما يحقق السلام فإنّ التلمود وافق ما جاء في العهد القديم: "واقْضُوا في مَحاكِمِكُم بالعدلِ لِيَحِلَّ السَّلامُ" (زك8: 16) فقرن الدعوة إلى السلام بالدعوة إلى العدل والصّدق وقال: "إنّ العالم قائم على ثلاثة أمور: على العدل وعلى الصدق والسلام" [10] ، لأنّ السلام لا يتحقّق إلا بتحقّق مبدأ العدل القائم بحدّ ذاته على مبدأ الصدق. ورغم وجوب الحكم بالعدل في النزاعات بين اليهود إلاّ أنّ التناقض بين القانون المتمثل في إقامة العدل وإحلال السّلام والتسامح بين الخصمين في بعض الأحيان يجعل اليهودية تُقدِّم الحُكم بالتّراضي (السلام) على تطبيق العدالة التي تخدم جانبا دون آخر، كما سمح حكماء اليهودية بالكذب والتنكّر من أجل تحقيق السلام واجتناب المعاناة واستمرار الخصومة [11] .

وسعى التلمود في بعض نصوصه إلى تجسيد مبدأ السلام في الواقع وتحقيق حياة الرفاهية والازدهار، فحرص على دعوة اليهود إلى إلقاء السلام على كل الناس حتى الأشرار منهم من أجل اتّقاء شرّهم، لأن هذا المبدأ يجعل الإنسان الشرير يستحي ويخجل من الإساءة لمن يسبقه بالسّلام، ولهذا رتّب التلمود لمن يسعى لتحقيق السلام ونشر المحبة والأخوة والإصلاح بين الناس نعيما كبيرا[12].

ثانيا: الاتجاه العنصري: هذا الاتجاه أكثر شهرة في التلمود حيث يعبّر عن الشخصية الحقيقية لليهودي من العصور الأولى إلى يومنا هذا، ولمّا كان السّلام قيمة مرتبطة ارتباطا وثيقا بغيرها من القيم وفي نفس الوقت ليست خاصة بالتعامل اليهود فيما بينهم داخل مجتمعاتهم المغلقة، وإنّما تشمل تعامل اليهود مع غيرهم ممّن يسمُّونهم الأمميين والأغيار أو الجوييم – ونحن في عصر الانفتاح واختلاط الأجناس– كان لابد من معرفة مدى تطبيق اليهود لمبدأ السلام مع غيرهم، والمُلاحِظُ لهذه الجزئية في التلمود يرى كما هائلا من النّصوص التي تُشكِّكُ في الأغيار وتصفهم بالخبث والمكر، بل وتدعو إلى بغضهم وعداوتهم، فحرّم بيع كل ما فيه مصلحة لغير اليهودي وخاصة الأسلحة أو المواد الأولية لصنعها حتى لا يكون لهم أي قوّة عسكرية أو اقتصادية على حساب اليهود، جاء في التلمود: "من يتاجر في سوق خاصة بعبدة الكواكب، فعليه أن يشوّه البهيمة، ويفسد الفاكهة والملابس والأدوات، أما العملات المعدنية فليُلقِها في البحر المالح حتى لا يستفيد منها أحد"[13]، هذا التفاخر بغش وخداع الأغيار تواصل وزادت شدّته حتى أصبح اليهودي يعقد العزم في كل حين على الإضرار بالآخرين وخاصة المسيحيين

بكل الطرق حتى يصل إلى قتل فضلائهم [14]، وأوجب الحاخامات على اليهودي ترك الشفقة على الأغيار لأنّهم لا يعرفون الربّ ولا يعبدونه، ورتّبوا على هذا الفعل الثواب العظيم[15]، وبالتالي فإن بغض الآخر والحقد والقسوة عليه من العبادات اليهودية التي تستلزم الثواب الربّاني، فأين محلّ السّلام من هذه النّصوص؟! نصوصٌ تدعو إلى قتل الأممي بكل الطرق، والإضرار به ماديا ومعنويا، وعدم التعامل معه بالرحمة والشفقة، وترك التودّد له بالهدايا، وحرّمت أيضا إعطاءه مستقرا من الأرض... [16]، عملا بما جاء في (تث7: 2): "لا تتَحنَّنُوا علَيهم" وتوسّعا في شرحها وتفصيلها، كل هذا جعل من الشخصية اليهودية شخصيةً تُكِنُّ حقدا وعداوة للآخرين، وبالتالي يستحيل التعايش معهم في أمن وسلام.

ترجع النظرة العنصرية في التلمود أساسًا إلى ربطه وصف الإنسانية باليهودية، فلا يكون الإنسان إنسانًا إلاّ إذا كان يهوديا، وعليه فإنّ أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنّها جزء من الله، أمّا غيرُ اليهود فأرواحهم شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، وقد وصف التلمود غير اليهود بأنّهم خُلِقوا من نطفة حصان، وأنَّ نُطفهم كنُطف الحيوانات، وهم المُتوَعَّدون بعذاب الله[17].

إذا حاولنا فهم التناقض الصّريح بين نصوص الاتجاه العنصري والاتجاه الإنساني في التلمود وربطها بنصوص التوراة التي تدعو إلى السلام، نجد علماء اليهودية جمعوا بينها بوضع قاعدة تنصّ على أن الوصايا لا تكون معتبرة إلا إذا كانت في صالحهم، وما يعود عليهم بالضرر فهو خاص بغير اليهود.

وعليه فإن "الوصايا تطبق إذا عادت بفائدة عَلى اليهودي ضد غيره ولكن لا تطبق إذا كان الضرر يقع على اليهودي، وفى ذلك يقول التلمود: ((إذا سرق أولاد نوح شيئا ولو كان تافهاً فإنهم يستحقون الموت لأنّهم قد خالفوا الوصية، أما اليهودي فمسموح له أن يضر الغير))" [18]، من هنا يظهر أنّ العنصرية اليهودية كائنة في أغلب التشريعات الدينية وتعدّت ذلك حتى وصلت للجوانب الاجتماعية فأثّرت على الحريات الشخصية والتعاملات اليومية، ويرجع كلّ هذا لاعتقاد اليهود بأنّهم "شعب الله المختار" اصطفاهم الله على غيرهم، أمّا الشعوب الأخرى فهي كالبهائم خلقت لخدمتهم.

كما فصّل التلمود الوصية التوراتية "لا تقتل" وذكر فيها تفسيرات دقيقة، ففرّق بين القتل العمدي وغير العمدي وكذا قتل اليهودي وغيره، فإذا كان القاتل يهوديا فلا يجوز له بحال من الأحوال قتل اليهودي، أما قتله لغير اليهودي عمدا فلا يوجب عليه القصاص وإنما يوكل أمره إلى الله (يُعتبر مخطئا ضد شرائع السماء)، وإذا كان القتل غير عمدي فلا شيء عليه، أمّا إذا كان القاتل غير يهودي وقتل يهوديا سواءً كان متعمّدا أو غير متعمّد فإنه مرتكب لجرم عظيم يُقتل به، وبالتّالي فإنّ التلمود يُجيز إلحاق الضرر بالأممي بطريقة غير مباشرة شريطة عدم ترتب عداء ضد اليهود[19]،هذا الحكم يُعَلِّلُه ابن ميمون بقوله: "لأنّ الشريعة تقول لا تهمل دم أخيك، وغير اليهودي ليس أخا"[20] ، يقول أحد الحاخامات مفصّلا كيفية إلحاق الأذى غير المباشر بالأمميّين: "فلا ينبغي أن يرفع الإنسان يده لإلحاق الأذى به، ولكن قد يؤذيه بطريقة غير مباشرة، بإزاحة سُلّم مثلا بعد سقوطه في حفرة عميقة، ولا يوجد تحريم لعمل

كهذا لأنه يتم بطريقة غير مباشرة"[21]، ودعا التلمود في غير ما موضع إلى إلحاق الأذى بالأمميين وقتلهم بكل الطرق لأنّه فضيلة من الفضائل، وعدّ دم الكافر قربانا إلى الله، أمّا الروح اليهودية فهي مقدّسة وإنقاذها كإنقاذ الدنيا بأسرها وهو من أعظم الواجبات الدينية [22]، كل هذه التفاصيل متعلقة بحالة السلم، أمّا في حالة الحرب فذهب الحاخامات إلى ضرورة قتل جميع غير اليهود حتّى المسالمين منهم على اختلاف أعمارهم وأجناسهم، ولا يزال هذا المبدأ مستمرا إلى يومنا هذا في تعامل اليهود مع غيرهم[23].

وحاول التلمود أن يقطع على غير اليهودي كل الطرق التي تجعله شريكا لليهودي في أرضه فحرّم بقاء الأمميين وسط اليهود ولو بإقامة مؤقّتة، امتثالا لما جاء في سفر الخروج: "ولا يُقيموا في أرضِكُم" (خر23: 33)، ومنعهم حتى من العبور على أرضهم وممارسة التجارة فيها إلا بعد قبول القوانين التوراتية، هذا في حالة قوّة اليهود وتغلّبهم، أما في حالة ضعف اليهود وقلّتهم فسمح لغير اليهودي بالإقامة المؤقتة بينهم باستئجار البيوت دون شرائها، وبالتالي يبقى النفوذ دائما لليهودي على حساب غيره، وهذا ما يُفسّر نظرة اليهودية الاستعلائية حتى فيما ترى فيه دعوة للتعايش مع غيرها من الأمم.

يمكن تلخيص النظرة التلمودية للسلام في كونها تحث اليهودي على العداوة وإلحاق الضرر بالغير، وتحرّم عليه الرحمة والشفقة بهم، وفي المقابل تدعو إلى التعامل معهم بنفاق إذا خاف اليهودي من غيره الضّرر، كأن يُظهر لهم المحبة زورا وكذبا ويُبطن الكره والحقد، ويُلقي عليهم السلام جهرا ويستهزئ بهم سرا [24]، فكيف بمن كانت هذه عقيدته أن يعيش في أمن وسلام؟ إنها عقيدة تغرس الحقد والكراهية والبغض في النشء وتُترجم في العنف والأذى والظلم عند الكبار.

2- تعامل اليهود مع الأمم الأخرى:

1.2- بروتوكولات حكماء صهيون:

يعتمد يهود اليوم مصدراً ثالثًا بعد التوراة والتلمود يُعرف بـ «بروتوكولات حكماء صهيون»، تُعتبر مصدراً سياسيا أكثر منه مصدراً عقائديا، إلا أنها لم تخرج من الناحية الأخلاقية عن إطار التلمود، لأنّ المنظّرين لهذه البروتوكولات كانوا من المُتشبِّعين بقيم اليهودية، ولمّا كان موضوعها الغالب عليها كيفية تعامل اليهود مع غيرهم في مراحل الضعف ومراحل القوة، كان لبّ موضوعها يدور حول عقيدة اليهود نحو الآخر، ما يؤكّد للباحثين استمرارية اليهود في اعتقاداتهم العنصرية تجاه الأغيار إلى يومنا هذا، عكس ما يدَّعيه بعض الباحثين من أنّ نظرة اليهود اليوم تغيَّرت نحو الآخرين بتأثير المدنية الحديثة واختلاط اليهود بغيرهم.

قد يتساءل القارئ ويقول ما مدى علاقة بروتوكولات حكماء صهيون بالعقيدة الدينية اليهودية؟ كما أنّ اليهود ليسوا كلّهم صهاينة فلماذا الخلط بين المصطلحين؟! وهي أسئلة وجيهة، والجواب عليها أنّ البروتوكولات من وضع أعلام من اليهود يمثّلون حركة سريّة تُعرف بالصهيونية بأدلّة كثيرة عرضها

الباحثون في كثير من المواطن لسنا في صدد إثبات نسبتها، إلاّ أنّ ما احتوته هذه البروتوكولات من فتن تتطابق مع شواهد واقعية بل وحتّى مع فتاوى الربانيين اليهود استنادا إلى نصوص التوراة والتلمود، وهذا يبّين المرجعية الدينية اليهودية للبروتوكولات الصهيونية[25].ومن جهة أخرى بيّن محمد خليفة التونسي في مقدمته الطويلة على ترجمته لنص البروتوكولات بأن سائر اليهود يرغبون في نجاح الصهيونية ويتعاطفون مع الصهاينة وربما يقدمون يد المساعدة بطرق خفية لا تُعرّضهم لنقمة الأمم عليهم، وإن لم يكن هذا الفعل من منطلق الإيمان بالشريعة أو بالحركة الصهيونية فيكون من منطلق الغيرة القومية التي يتصف بها اليهودي، فقال: "وإنّه لمن الإفراط في الجهل والغفلة والهوى أن يخطر على عقل قابل للفهم أنّ يهوديا يتمنّى مخلصا خيبة الحركة الصهيونية أو فشلها، مهما يخالفها في خططها أو مراحلها أو وسائلها أو مواقيتها، وأبعد من ذلك في الشطط أن يستريح عقلٌ إلى أنّ يهوديا يسعى مخلصا لمقاومة الحركة الصهيونية بقلمه أو لسانه أو نفوذه أو ماله، فهكذا تُملي عليهم التوراة والتلمود ونصائح سائر الأئمّة بينهم والزعماء"[26]، وعليه فإنّ الأغلبية الساحقة من يهود اليوم يتّفقون مع الصهاينة في هذا الباب. ومسألة الصهيونية قد لا تستوعبها بعض العقول البشرية على حقيقتها، إذ هي حركة بدأت سياسية علمانية تخدم مصالح اليهود، مدفوعين –بغير قصد– بدافع إلهي فداءً لليهود، فوافقت الصهيونيةُ التلمودَ في نهجه نحو العصر المسيحاني اليهودي (مسيح اليهود المخلّص) بنشر كل أنواع الشر –من دمار وسوء أخلاق ووقاحة– حتى تتهيّأ الأرضية التي فيها يظهر المسيح، استثمر الحاخام أبراهام إسحاق كوك Rabbi Abraham Ishac Kook (1865– 1935م) في هذه الحركة وألبسها لباسا دينيا حسب مدرسته الفكرية، فنشأت صهيونية دينية مقابل العلمانية، وواصل ابنه الحاخام تسيفي يهودا كوك Rabbi Tsevi Yehudah Kook (1891– 1982) أفكار والده وطبّقها بطريقة أذكى منه حتى أصبح منهج تفكيره مهيمنا على الصّهاينة المتديّنين آنذاك[27]، فالصهيونية إذن نوعان: صهيونية دينية وأخرى علمانية تَخْطُوا خُطَا التلمود وتُحقّقُ مصالحه.

يجدر التذكّير أنّ بروتوكولات حكماء صهيون افتُضح أمرها في بداية القرن العشرين وبالضبط في 1901م، ثم طبعت أول طبعة سنة 1902م، وتلتها طبعات أخرى كثيرة، وما ميّز هذا الكتاب نفاذه من السوق بسرعة رهيبة في كلّ مرّة بفعل الحرص الكبير من اليهود وخوفهم من افتضاحهم، ورغم هذا انكشف أمرهم وعُذِّبوا وقُتِّلوا في روسيا في مجازر دامية، ما جرّ اليهود إلى إنكارها وجحود نسبتها إليهم بما فيهم المحافظون Orthodox وغير المحافظين منهم Unorthodox، لكن النبوءات التي احتوتها البروتوكولات فضحت اليهود مرارا وتكرارا وأهمها الثورة البلشفية وسقوط القيصرية الروسية وكذا قلب موازين القوة في الحرب العالمية الأولى واستعمال نفوذها في التلاعب بالقادة والساسة آنذاك ليكون الرابح الوحيد في الأخير اليهود، فأدرك البريطان بعد خديعة اليهود للألمان أنّهم استأصلوا السيطرة الألمانية على العالم ليجدوا أنفسهم انتقلوا من سلام ألماني وتورطوا في المقابل في سلام يهودي أكثر خطورة منه[28]،

وهذا ما يبيّن خطورة هذه الوثيقة عموما وعلاقتها بموضوع السلام خصوصا، وسنذكر فيما يأتي بعض النصوص التي تبين فحوى هذه البروتوكولات.

البروتوكولات مصدر سياسي اغترف من كتاب "الأمير The Prince" لمكيافلّي أفكاره الأساسية وغلّفها بغلاف ديني قومي، جاء في البروتوكول الأوّل: "إنّ السياسة لا تتّفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه. لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء"[29] وهذا ما يبيّن النظرة الماديّة لليهود في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولذا نجد البروتوكولات تدعو إلى كلّ ما هو غير أخلاقي شريطة أن يخدُم مصالحها في كل المجالات، جاء في نفس البروتوكول: "فيجب أن نتمسّك بخطّة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضا"[30]، وفي موضع آخر: "يجب أن يكون شعارنا ((كل وسائل العنف والخديعة))" [31]، فأين محلّ السلام من هذه النّصوص الصريحة التي تحضّ على الكراهية والبغض؟ لا شك أنّ هذه البروتوكولات تهدم كل فكرة قائمة من أجل سلام العالم وأمنه، لأنّ حكماء اليهود يرون أنه لا يمكن قيام حضارة بغير استبداد مطلق[32]، ومن أجل الوصول إلى غايتهم المرجوّة سعوا إلى كل ما يخدمهم كما في البروتوكول الخامس: "لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقَبَلية خلال عشرين قرناً"[33] بدافع الإيمان والعمل بمقتضى النصوص المقدّسة وتفسير حاخاماتهم لها، جاء في البروتوكول التاسع: "إنّ لنا طموحا لا يُحدّ، وشرهاً لا يُشبع، ونقمة لا تُرحم، وبغضاء لا تُحسّ. إنّنا مصدر إرهاب بعيد المدى... وبهذا التدبير تتعذّب الحكومات، وتصرخ طلبا للراحة، وتستعدّ –من أجل السّلام– لتقديم أي تضحية، لكننا لن نمنحهم أي سلام حتّى يعترفوا في ضراعة بحكومتنا الدولية العليا"[34]، فمن يسقط في مخالب هؤلاء لن يخرج منها ناجيا إلاّ إذا كان في ذلك تحقيق لغاية يهودية أسمى.

إن اليهود لا يعترفون بسلام ولا كرامة ولا حرية شخصية، وكل الشعارات التي تصدر من قِبلِهم إنّما هي شعارات سياسية جوفاء تخدم مصالحهم كما جاء في البروتوكول الأول لحكماء صهيون: "إنّ الحريّة السياسية ليست حقيقة، بل فكرة. ويجب أن يعرف الإنسان كيف يُسخِّر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية، فيتّخذها طعما لجذب العامّة إلى صفّه، إذا كان قد قرّر أن ينتزع سلطة منافس له"[35]، إنّ هذا الخبث السياسي ليبيّن للعالم مدى قساوة وشراسة النظام الصهيوني واستعباده للآخرين، لهذا فهو يسعى بكل ما أوتي من قوة من أجل نشر الفساد وإشعال الفتن وإراقة الدماء، حتى يملّ البشر من تلك الحياة الدامية ويصيرون كالحيوانات التي تبحث عن مكان تستريح فيه من وطأة الحروب والمشاحنات، لتجد نفسها في أيدي عصبة من الصهاينة يحكمون العالم ويظهرون لهم من السلام وحبّ الخير عكس ما يُبطنون، جاء في نهاية البروتوكول الثالث: "يجب أن نُركِّز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع

من الدّم، وفي تلك اللحظة يكون يسيرا علينا أن نسخّرها ونستعبدها. وهذه الحيوانات إذا لم تُعط الدم فلن تنام"[36]، يُقصد بالحيوانات هنا الأمميين (غير اليهود)، وهذا التشبيه نابع من نصوص التلمود، ما يبيّن شدّة تمسّك الحكماء الصهاينة بهذا المصدر اليهودي. كما تمّ وصف الأمميين بالغفلة حتّى شُبِّهوا بقطيع الغنم: "إنّ الأمميين كقطيع من الغنم، وإنّنا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟"[37]. وجاء في نص البروتوكول السابع: "لكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتّفاقات، ولكننا فيما يسمّى ((اللغة الرسمية)) سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك، كي نظهر بمظهر الأمين المتحمّل للمسؤولية"[38]، وفي نهاية نفس البروتوكول: "من أجل أن نُظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا سوف نُبيِّن قوّتنا لواحدة منها متوسّلين بجرائم العنف وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب، وإذا اتفقوا جميعا ضدّنا فعندئذٍ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية"[39]، فاليهود يعملون على كل الجوانب وكل الأجنحة في آن واحد، وكما قال محمد خليفة التونسي في مقدمته على ترجمة نص البروتوكولات: "هم الذين يعملون على أن تُحلّ المشاكل دوليا، فهم دعاة السّلام بعد كل حرب لم تقم إلاّ بسبب مكايدهم، وهم يستفيدون وحدهم في السّلم والحرب أكثر من المسالمين والمحاربين"[40]، إنّه خبث سياسي حقيقة ومكر شيطانيّ لا يستطيعه إلاّ من أُرضع لبن الثعالب وعاش وسط قطيع غنم لابسا صوفها ومتحدّثًا بلسانها.

وعليه؛ يمكننا القول إنّ البروتوكولات دعت إلى الطغيان أكثر من تشجيع مكيافلّي عليها في نظرياته[41]، وإنّها لم تكن يوما داعية للسلام ولا مشجّعة على السّلام بل همّها الوحيد هو إثارة الفتن والنعرات ونشر الحروب وإشعالها حتى يكون اليهود فقط هم المستفيدون منها.

هذا باختصار أهم ما ورد في مصادر اليهودية العقدية والسياسية العملية في موضوع السلام، رغم اعتقاد اليهود بسرية مصادرهم وعقائدهم في زمنٍ انتشرت فيه كثير من نصوصهم المقدسة علنًا فاضحة إياهم ومخططاتهم أمام العالم جميعا ليأخذ كلٌّ حِذره ويركّز في المستقبل على أدقِّ معاملاته.

2.2- تطبيق اليهود للسلام في تعاملهم مع غيرهم:

إن دراسة وتتبع التاريخ اليهودي يُبيِّن حبَّ الحاخامات لسفك الدماء وبخاصة دماء المسيحيين، فقد ألزموا اليهودي بقتل الكفرة كيسوع المسيح والناصريين، وفي 214م قتل اليهود 200000 مسيحي في رومة وكل مسيحيي قبرص، وفي سنة 1717م (في زمن الإمبراطور كليمان) قتل اليهود من المسيحيين كرمال البحر في رومة وخارجها[42]، وزاد الترغيب في قتلهم كثيرا حتى جعل الحاخامات مكافأة القاتل الخلود في الفردوس[43]، بل وعَدُّوا المسيحيين أشد من عبدة الأوثان، فحرّموا خدمة اليهودي للحاكم غير اليهودي لأنّ جريمة من خدم الوثني تُغتفر أما جريمة من خدم الحاكم المسيحي فلا تغتفر، ودعوا إلى فعل الشرّ بهم وهدم دور عباداتهم ومعاملتهم كالحيوانات وأوجبوا على اليهودي لعنهم ثلاث مرّات في اليوم، ودعاءُ الله بإبادتهم

وإفناء حكّامهم[44]، ووصفوا العرب بأنّهم أُمّة منحطة معروفة بالغدر والاعتداء، استحوذ عليها العُهر والغباء بنسبة تسعة أعشار[45]. وهذا ما يُظهر شدّة الحقد والعداوة التاريخية بين اليهود وغيرهم.

فالتاريخ اليهودي إذن سلسلة فتن ومؤامرات وحروب دموية تتّصف –قديما وحديثا– بالوحشية والإبادات الجماعية، وظّفت من أجل ذلك كل ما يخدمهم من أساليب المكر والخداع، ففي سنة 155م تحصّل اليهود على أمر بقتل المسيحيين الذين كانوا يسكنون روما بعد مكر أحد الحاخامات المحبوبين عند الإمبراطور بهم فجعلهم سبب وجود وانتشار الأمراض المعدية، أمّا ما فعله اليهود من مجازر بحق مسلمي فلسطين فلا يحصى إذ لا يمضي أسبوع إلاّ ويرتكب الصهاينة مجازر بحق أفراد أو جماعات، وإليك أهم المذابح الكبرى والإبادات الجماعية في حق الفلسطينيّين:

1- مجزرة دير ياسين 1948م: عدد الضحايا 300 من المسلمين. نفذت المجزرة بالأسلحة الرشّاشة والسكاكين.
2- مذبحة سعسع 1948م: عدد الضحايا 60 شخصا معظمهم من النساء والأطفال.
3- مذبحة اللدّ 1948م: عدد الضحايا 250 من المسلمين.
4- أكثر من عشر مجازر في القدس راح ضحيتها العشرات من المصلّين المسلمين.
5- عدّة مجازر في الخليل راح ضحيتها العشرات من المصلّين المسلمين.
6- مجزرة المخيّمات في صبرا وشاتيلا: راح ضحيّتها أكثر من 3000 مسلم من أطفال ونساء وشباب. ولا يزال اليهود إلى اليوم يقومون بتهويد فلسطين وطرد المسلمين منها بمختلف الوسائل الموصلة إليها[46].

فاليهود والصهاينة إذن فعلوا في القرن الماضي مع العرب من أجل نصرة قضيّتهم والتمكين لدولتهم المزعومة ما لم يفعلوه مع غيرهم، وهذا ليُؤكّد للقارئ الكريم مدى تشابه يهود اليوم بسلفهم في المكر والخداع وإخلاف الوعود، فمنذ دخول اليهود إلى فلسطين سنة 1948م والويلات تتوالى على الفلسطينيين، ثم تَعدَّوا الحدود الجغرافية الفلسطينية لتطبيق مخططاتهم على الدول المجاورة من أجل تحقيق الحلم الصهيوني في دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وكان دأبهم في كل اعتداءاتهم إذا رأوا مقاومات أهل الأرض يسعون لإقامة معاهدات سلام وهم السبّاقون لنقضها مع أوّل فرصة للانتقام، ففي سنة 1978م وقّعوا معاهدة سلام في كامب ديفيد بأمريكا، لكنّهم في نفس السنّة قاموا بغزو جنوب لبنان واحتلالها وتشريد أهلها وقتل الأبرياء والآمنين منها في صورة إبادة جماعية وواصلت طريقها حتى احتلت بيروت سنة 1982م[47]، دون رحمة ولا شفقة كما كان أسلافهم.

إن الإبادات الجماعية شيء لا ينفك عن اليهودية من العصور الأولى، والمقام لا يكفي لذكر الجرائم التاريخية اليهودية، لكن ما يجب التركيز عليه هنا كون هذه الإبادات الجماعية وأعمال العنف جرائم مقدّسة دعت إليها أسفار العهد القديم عموما وأسفار التوراة خصوصا، حيث رسمت الإله "يهوه" في

صورة المنتقم من البشر والحاقد عليهم الذي يقتلهم ويُبيدهم في كل فرصة مناسبة، والنصوص الواردة في هذا كثيرة منها ما جاء في سفر التثنية: "فاضربوا أهلَ تلك المدينةِ، وحلِّلوا قتل جميع ما فيها حتّى بهائمها بحدّ السّيف. واجمعوا جميع أمتعتها إلى وسط ساحتها، واحرقوا بالنّار تلك المدينة بكلِّ ما فيها، قربانا للربّ إلهكم" (تث13: 16–17)، ويتأكّد ما سبق في نصوص أخرى كثيرة تبيّن "يهوه" في قمة الوحشية فبعد أمره شاول بقتل بني عماليق قائلا: "فاذهب الآن واضرب بني عماليقَ، وأهلِك جميع ما لهم ولا تعفُ عنهم، بلِ اقتُلِ الرجال والنساء والأطفال والرضَّع والبقر والغنم والجمال والحمير" (1صم 15: 3) قام شاول بما أُمر به غير أنّه عفا عن مَلِكِهم ولم يُهلِك خيرة الغنم والبقر فكان عدم تنفيذ الإبادة الجماعية بحذافيرها سبب غضب "يهوه" الشديد عليه فقرر خلعه المُلك وتسليمه لداود كما في (1صم 15: 26–28) [48]، أما موسى عليه السّلام فصوّرته التوراة على أنّه كان متعطّشًا للدّماء وخاصة في قصة الانتقام من مديان لما أمر الجند أن يقتلوا كل الأطفال والشيوخ والرجال والنساء المتزوجات كما في (عد31: 1–35)، والنصوص المحرّضة على الإبادات الجماعية كثيرة[49]، وأعظم ما يستشهدون به في العهد القديم ما جاء في سفر يشوع من حروب هذا الأخير وإبادته للكنعانيين وجرائمه الوحشية في وجه خصومه ما جعله محل إعجاب وفخر اليهود والصهاينة شبابا وشيوخا وأطفالا، وأصبح المثل الأعلى لهم في حربه وإبادته للآخرين، ولا يزال الإعجاب به حتى اليوم إذ إنّ دافيد بن غوريون كثيرا ما كان يحرض الجيش الإسرائيلي بتذكيره بيشوع وصلتهم به[50]، ورغم كل ما يتمسكون به من قصة يشوع إلا أنّ المدراشيم Midrashic أقرّت بخطأ يشوع في تعامله مع الكنعانيين، وافترضت أن يعرض عليهم شروط السّلام أولا بمغادرة الأرض أو البقاء فيها كخدم لليهود أو الذهاب إلى الحرب، وهذا ما أقرّه فيما بعد مجدّد اليهودية موسى بن ميمون، إلاّ أنّ يشوع قام بقتل الكنعانيين بلا رحمة ولا شفقة، ونفس هذه الإجراءات تعتمدها الصهيونية اليوم مع الفلسطينيين[51]، كما كان للتلمود ولنصوص الحاخامات الحظ الأوفر لما استأنس به اليهود في دعواهم للعنف وقيامهم به كما سبق وذكرنا. ولا يخفى أن للمجامع اليهودية يد كبرى –على مرّ القرون– في جعل العنف والقيامة والاستشهاد جزءا لا يتجزأ من العقيدة اليهودية، تماما كما كرّس المكابيون عقيدة شهدائهم، ولهذا السبب فإنّ المشنا –وهو أبسط خلاصة للتّوراة الشفوية اليهودية التي نُشرت حوالي 200م– وَعَدَت جزءًا من العالم بالقدوم إلى إسرائيل (الأرض الموعودة) [52].

إذا سألتَ يهوديا عن جرائمهم تجاه الفلسطينيين لأجابك بأحقّيتهم في الأرض، وأنّ الله وعد إبراهيم ونسله باستخلافهم إيّاها، وعليه فإنّه يمكن استعمال كل أنواع الخبث والمكر والعنف من أجل إرجاع الحق المفقود، وهذا ما يكثر عليه اللّغط في هذا الباب، ولسنا في صدد مناقشة من أحقُّ بأرض الميعاد؟ على الرغم من اعتقادنا الجازم بأنّها حقّ للعرب المسلمين (السكّان الأصليين لهذه البلاد) [53]، لكن ما يهمنا أكثر: هل العنف والإبادات والقتل والوحشية هي الطريق الوحيد لإرجاع الحق لو فرضنا صحة زعمهم؟ لماذا لا يصل الأمر بالفلسطينيين إلى مواجهة الإسرائيليين بنفس العنف والجرائم والإبادات رغم اعتقادهم

بأن الأرض لهم؟ للأسف إن رجال الدين اليهود وحكماءهم يدعون ويخطبون في النّاس أن لا سلام إلا بعد ظهور المسيح المخلّص لليهود من نسل داود، تعترف كل الدول به وبسيادة إسرائيل عليها وتفوّق الديانة اليهودية على الجميع.

بعدما جمّعنا ما يجب جمعه من حطام هذا الموضوع في قالب محدود لا يُمّكِّنُنا من زيادة شرح أو تفصيل، كان لابد في الأخير من التركيز على فكرة كوك الأب التي بنى عليها مذهبه الفكري، وهي أنّ التقدّم والتحضّر لا يكون أبدا سَلِسًا وإنّما يمرُّ أحيانا بفترات من التّراجع والدّمار، ونفس الفكرة غرسها ابنه في عقول الصهاينة المتديّنين أثناء حربهم على الفلسطينيين، وكانوا يرون بأن الرجوع إلى أرض الميعاد هو بداية تحقيق العصر المسيحاني فشجّعوا النشاط الاستيطاني العدواني باسم الدين واتّخذوا موقفًا معادٍ للعرب وكل الأمم الأخرى غير اليهود، وهذا من تفكير الأصولية اليهودية الحديثة التي تُسيطر على القوة السياسية في إسرائيل اليوم[54].

العنف اليهودي الصهيوني الإسرائيلي عنف ديني طائفي قومي متأثّر بشخصية اليهودي المغلقة على نفسها والظروف السياسية والاجتماعية التي مرّ بها، لم يُصدِّق أن رأى بعض النور في طريقه فبدأ ينفث أخبث سمومه ليجعل من حوله على الأرض صريعًا ولو كان أقوى أعدائه، فجعل من المكر والخداع والكذب والرذيلة سبيلا لنيل وطره ومنهجا لبلوغ أمله، هكذا يكون حال من جعل من اليهودية الأرثوذكسية الأصولية دينا له، تدعوه في المقام الأوّل إلى خداع "يهوه" ربه، ثم إلى خداع غيره فيجد –في الأخير– أنه قد خدع نفسه، إنّها النظرة المادية الماركسية (البشرية) التّي سيطرت على الديانة اليهودية فجعلت منها أضحوكة يتخيّلها القارئ كأنّها أفلام كرتون قتالية. وما يمكننا الوصول إليه بعد هذه الدراسة أن اليهودية لم تكن ولن تكون أبدا ديانة سلام، لأنها منذ العصور الأولى وإلى اليوم لاتزال تمثّل عملية انحطاط أخلاقية تشبه إلى حدّ بعيد الديانات البدائية.

–الحمد لله الملك القدّوس السلام، وسبحان الله رب العالمين–

الخاتمة:

في ختام البحث نودّ أن نجمل أهم النتائج المُتوصَّل إليها، وهي كالآتي:

- السلام اليهودي سلام دون سلام، يُطبّق بين اليهود أنفسهم ولا يُطبّق مع الجوييم باختلافهم.
- السلام اليهودي ليس له اعتبار أخلاقي ثابت، فقد يكون ما يراه غير اليهود منافيا للأخلاق يراه اليهود موافقا للأخلاق بما في ذلك تطبيق مبدأ السّلام.
- النصوص المقدّسة من التوراة والتلمود وباقي أسفار العهد القديم التي دعت إلى السلام ليست على إطلاقها، وإنّما غيّر الحاخامات مسارها وقيّدوها بقيود قومية عنصرية.
- بروتوكولات حكماء صهيون من المصادر السياسة الحديثة لليهود التي فضحت المؤامرات اليهودية تجاه العالم وبيّنت نظرة رجال الدين اليهود الحقيقة للسّلام.

- الصهيونية ليست حركة علمانية بحتة كما يظنّ البعض وإنما تضمّ في جوانحها من المتديّنين العدد الكبير، يؤثّرون في القرارات السياسية أكثر من غيرهم.
- ينظر رجال الدين اليهود –وفق نظرة التلمود– إلى وجوب نشر مختلف أنواع الشرّ من عنفٍ وعدوان وظلم وتعدٍّ ودمار وخراب وحقد وكراهية حتى يتسنّى لهم تحقيق الأرضية اللازمة لظهور المسيح اليهودي من نسل داود.
- السلطة الإسرائيلية اليوم رغم ميلان بعض أفرادها إلى الإلحاد والعلمانية إلا أنها تجعل من اليهودية دستورها ومن الحاخامات والربيّين مرشدين لها.
- تأثّرت الديانة اليهودية بالمذاهب البشرية كالماركسية التي جعلتها تزن كل الأمور بميزان الماديّة ولا تأبه للاعتبارات الأخلاقية أو الشرعية، لأنّ "الغاية تبرّر الوسيلة" في منظومتهم الفكرية.
- لا يمكن لفرد غير يهودي أن يعيش في مجتمع يهودي لأنه يكون حينها كشاة وقعت فريسة عصبة من الذئاب، فاليهود وفق دراستنا قوم يتملّكهم الحقد والبغض لغيرهم ولن يذوبوا في مجتمعات الآخرين مهما كلّفهم، وكلّما وجدوا قوّة كشّروا عن أنيابهم وأبدوا للآخرين مخالبهم، فهم قوم غير مُؤتمنين لا على مال ولا على أهل ولا على نفس. وبالتالي لا سبيل للعيش معهم في سلم وأمان وطمأنينة وراحة بال.
- لا سلام عالمي دون سلام ديني، ولا سلام ديني مادام اليهود وبعض الطوائف الدينية حول العالم تؤمن بمثل هذه الأفكار. إذن؛ سيعاني عالم الغد كما يعاني عالم اليوم وسيذوق الويلات كما ذاقها عالم الأمس. لا تسامح – لا سلام – لا أخوّة – لا محبة.

الهوامش:

1- ينظر: محمد بن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وهاشم محمد الشاذلي ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، ج24، ص2077.

2- ينظر: Etienne G.Kurg and others, World Report on Violence and Health, Geneva: World Health Organization, 2002, p.5

3- ينظر: موقع دائرة المعارف البريطانية على الرابط: https://www.britannica.com/topic/violence

4- ينظر: Robert Eisen, The Peace and Violence of Judaism : From the Bible to Modern Zionism, Oxford University Press, 2011, p.13, 14.

5- ينظر: ويل وايريل ديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، دار الجيل، بالاشتراك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج2، ص383.

6- المرجع نفسه، ج2، ص376-377.

7- ينظر: كريمة دوز، الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، مر: محمد عادل، دار الكتاب للنشر والتوزيع، 2016م، ص 104.

8- ترجمة متن التلمود (المشنا)، تر وتع: مصطفى عبد المعبود، تق: محمد خليفة حسن، مكتبة النافذة، 2007م، ج4، ص317.

9- المصدر نفسه، ج4، ص302.

10- المصدر نفسه، ج4، ص303.

11- ينظر: أدين شتاينسالتز، مدخل إلى التلمود، تر: فينيتا بوتشيفا الشيخ، تد-لغ: سمير فروح، دار الفرقد، 2006م، ص267-268.

12- ينظر: كوهن آ، التلمود عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامبين حول ((الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء))، تر إلى العربية: سليم طنوس، دار الخيال، 2005م، ص273-274.

12- شيماء مجدي حسن، الآخر في التلمود؛ ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود (عقودا زارا)، مر وتق: ليلى إبراهيم أبو المجد، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007م، ص114.

13- ينظر: روهلنج وشارل لوران، الكنز المرصود في قواعد التلمود، تر: يوسف نصر الله، مطبعة المعارف، 1899، ص58- 60 و 76.

14- ينظر: إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، تر: حسن خضر، سينا للنشر، 1994م، ص173.

15- ينظر: شيماء حسن، مرجع سابق، ص140.

16- ينظر: روهلنج وشارل لوران، الكنز المرصود في قواعد التلمود، مرجع سابق، ص46-47.

17- محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، (مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان)، ص36.

18- ينظر: إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، مرجع سابق، ص132-133.

19- موسى بن ميمون، مشناه توراة، ج4، ص11. نقلا من: إسرائيل شاحاك، مرجع سابق، ص142.
20- ديفيد حالاوي الحاخام، (توريه زاهاف) على (شولحان عاروخ)، ص158. نقلا من: إسرائيل شاحاك، مرجع سابق، ص133.
21- ينظر: روهلنج وشارل لوران، الكنز المرصود في قواعد التلمود، مرجع سابق، ص66-68. وينظر: إسرائيل شاحاك، مرجع سابق، ص141.
22- ينظر: إسرائيل شاحاك، مرجع سابق، ص134 و138.
23- ينظر: روهلنج وشارل لوران، مرجع سابق، ص54- 55.
24- ينظر: محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون، تر وتق: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، ص43.
25- المرجع نفسه، ص53-54.
26- ينظر: Robert Eisen, The Peace and Violence of Judaism, p. 147-149. انظر أيضا:
R. Scott Appleby, The Ambivalence of the Sacred: Religion, Violence, and Reconciliation, Rowman & Littlefield Publishers, 2000, p. 81, 82.
27- ينظر: محمد خليفة التونسي، مرجع سابق، ص39-41.
28- المرجع نفسه، ص114.
29- المرجع نفسه، ص119.
30- المرجع نفسه، ص118.
31- ينظر: المرجع نفسه، ص117.
32- المرجع نفسه، ص134.
33- المرجع نفسه، ص145.
34- المرجع نفسه، ص112.
35- المرجع نفسه، ص130.
36- المرجع نفسه، ص158.
37- المرجع نفسه، ص140.
38- المرجع نفسه، ص141.
39- المرجع نفسه، ص71.
40- أشهرها نظرية: الغاية تبرّر الوسيلة" التي استعملها الطغاة في تطبيق سياساتهم الظالمة على الشعوب الضعيفة.
41- ينظر: روهلنج وشارل لوران، الكنز المرصود في قواعد التلمود، مرجع سابق، ص69-70 و 78-82.
42- ينظر: المرجع نفسه، ص68.
43- ينظر: المرجع نفسه، ص87.
44- ينظر: زياد منى، تلفيق صورة الآخر في التلمود (يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأمميين)، تق: نقولا زيادة، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2004م، ص231-232.

45- حسن مصطفى الباش، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، دار الكتب الوطنية، 1426هـ، ص69-70

46- ينظر: محمود بن عبد الرحمن قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 107، ص269.

47- ينظر أيضا: (عد 21: 2-3) و(تث7: 1-24) و(تث9: 1-3) و(تث20: 3-17).

48- ينظر: عصام سخنيني، الجريمة المقدسة الإبادة الجماعية من أيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م، ص37-41.

49- ينظر: المرجع نفسه، ص55.

50-ينظر: Robert Eisen, The Peace and Violence of Judaism : From the Bible to Modern Zionism. p212.

51- ينظر: Bruce Chilton, Abraham's Curse : The Roots of Violence in Judaism, Christianity, and Islam, Doubleday, 2008, p. 46, 47.

52- لمزيد من التفصيل في الرد على كل مزاعم اليهود في محاولة إثبات أحقيتهم في الأرض انظر إلى: محمود قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم، مرجع سابق، ص287-293.

53- ينظر: Robert Eisen, The Peace and Violence of Judaism : From the Bible to Modern Zionism, p. 149, 150.

54-ينظر: .Robert Eisen, Ibid, p. 149-150